الأستاذ محمد عفط

جامعة مولاي اسماعيل

المدرسة العليا للأساتذة

مكناس

أهمية الإنسانيات اليوم

تقديم

حينما نستدعي موقع الإنسانيات في الجامعة المعاصرة فإن مفردة الأزمة هي التي تتكرر غالبا من خلال نقط بارزة منها:

- خصاص كبير في التمويل.
- بنايات قديمة.
- أعداد في انخفاض مستمر.
- مآلات مهنية غير مؤكدة.
- فقدان للمشروعية تجاه أهداف إنتاجية الجامعة.
- شعور متزايد بالغربة من خلال موقع غير مريح.

قبل العودة لتشخيص أبعاد هذه الأزمة، نلقي نظرة على تعريف الإنسانيات وتاريخها باقتضاب.

نلاحظ بالعودة إلى التحديد اللغوي أن هناك فرقا في التعريف بين اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية لكلمة إنسانيات. في العالم الأنجلو سكسوني،تفيد كلمة the humanities مجموعة واسعة من التخصصات الجامعية: اللغات والآداب، الفلسفة، التاريخ، الفنون الحرة، بل كذلك الجغرافيا وحتى القانون. ونجد أن human sciences تضم تخصصات مثل اللسانيات،والفلسفة،والأنثروبولوجيا، وحتى الاقتصاد.

ويلاحظ اليوم في فرنسا تبني التعريف الأنجلو ساكسوني الموسع بكلمة les humanités التي كانت تفيد في تاريخ الفرنسية معنى أكثر ضيقا ومرتبطا بسياق عصر النهضة ، حيث كانت تعني الجزء من التعليم الثانوي المؤسس قديما على الآداب الكلاسية، وأحيانا،للمجاورة، التعليم الثانوي بكليته، أو اللغات والآداب الإغريقية واللاتينية، أي الدراسة التي تكون لهما ، والحب الذي يكن لهما. ولا يعرف كيف تم المرور من المفرد اللاتني humanitas إلى الجمع الحالي humanités.

تجدر الإشارة إلى أن humanitas تترجم أولا philantropia الإغريقية، أي خصائص الإنسان الرشيد والقائد، والحصيف مع أصدقائه، وأيضا مع عياله... لكن، وفي إطار امتداد دلالي تترجم humanitas على الخصوص paedéa وهي الخاصية التي تميز المتحضر عن المتوحش، وبشكل أكثر، الإنسان الجيد التربية عن الإنسان السوقي، سواء كان من عامة الشعب أو عضوا من النخبة لكنه جاهل وغير قابل للمعاشرة. ولا شك أن هذا المعنى يستدمج معنى الفنون الحرة les artesliberales،les arts libéraux ، أي اللائقة بالرجال الأحرار.

نحن نجد في السياق ذاته تعبير " faire ses humanités" الذي يفيد الدراسة المتعمقة والحاذقة للأعمال الكلاسية خاصة الأدبية منها بما يحقق تعلم دقة اللغة ومواردها التعبيرية، ومعالجة الفكر، وعمقه، والسمو به، ودروس التاريخ، وأعمال الرجال. Les humanités إذن هي منهج نقل معارف ذات طبيعة متعددة: تاريخية،جغرافية، طبية، نباتية، حيوانية، معدنية أو أخلاقية. ومن ثم ، كانت الإنسانيات تحضيرا ضروريا قبل أي تخصص، تربية عامة ومتحررة من أي هم أداتي أو أي تخصص مهني.

في التراث العربي لا نجد هذا التعبير ولو أن الأستاذ محمد أركون استعمله حين الحديث عن القرن الرابع الهجري في كتابه "نزعة الأنسنة في الفكر العربي". لكننا نستطيع أن نجد في كلمة أدب هذا المعنى الموسع للمعارف المتعددة والمتنوعة، وهو ما نلمسه في تعريف ابن خلدون للأدب حين يقول بأنهم رأوا أن حده هو الأخذ من كل فن بطرف. على أننا لا نبتعد عن هذا المعنى مع كلمة حكيم التي تطلق على الشخص حين تتحقق لديه تلك المعرفة الشمولية التي بلغها شعراء كما بلغها أطباء على سبيل المثال.

تشير العديد من الدراسات إلى أن من الأسئلة الأساسية التي ظلت قائمة حين الحديث عن موقع الإنسانيات في التكوين الفردي والجماعي ذاك المتعلق بهل يجب على التعليم العام أن يمنح لبعض الشباب تخصصا ذا طبيعة تقنية ومهنية، أم يجب عليه أن يلقن كل المواطنين المقبلين تربية شمولية وثقافة عامة مشتركة؟

إن مناقشة هذه العلاقة بين التكوين العام والتكوين الخاص هي التي ظلت قائمة على مستوى العديد من التجارب الحديثة خاصة في أوربا، وتحديدا في ألمانيا التي سيقيم فيها مجموعة من الفلاسفة صرح الجامعة الألمانية الحديثة سنة 1807. فقد دافع مؤسسو الجامعة الألمانية الحديثة (فيخته،وشلرماخر، وهمبولدت) عن ضرورة متابعة معرفة شاملة ونقلها، وحدة معرفة تحتضن تعددية المعارف الخاصة، وتمثل، من ثم، انعكاسا لكلية الثقافة أو ما سموه "موسوعة فلسفية لمجموع الثقافة" وهو ما يسمح بإعادة التنظيم الداخلي للجامعة عبر العودة إلى مفهوم ال uni-versité الذي يعني أنه من المتعدد والمتنوع نعود نحو الوحدة حيث يجب أن تحتضن الجامعة كل أشكال المعرفة وأن تعبر كل شعبة في الطريقة التي تتعامل بها عن علاقتها الداخلية الطبيعية مع كلية المعرفة.

وبذلك، فإن إيقاظ فكرة العلم، أو إعطاء "طابع علمي" لكتلة المعرفة هو تسجيل الخاص في مجموع واسع دون قطعه أبدا عن الوحدة ولا عن كلية المعرفة. الجامعة بذلك ليست مشتلا لمهنيين مستقبليين فحسب، بل هي كذلك مراكز لتعليم عال لا يختزلها في وظيفة مهنية أو نفعية خالصة. وفي هذا الإطار يجب استهلال الجامعة بدروس موسوعية، إذ – حسب فيخته- نحن لا ندرس فقط لإعادة إنتاج ما تعلمناه، بل لتطبيقه في وضعيات تفاجئ في الوجود، ووضعها هكذا موضع فعل ليس فقط من أجل تكرارها، بل به -- وانطلاقا منه – القيام بشيء آخر. التكوين العلمي العام إذن هو أساس لعمل حقيقي véritable agir كما يعبر يورغن هابرماس الذي وقف طويلا عند نموذج الجامعة الألمانية الأولى، وفي هذا الصدد يقول:

" إن تكوينا جامعيا متكيفا مع التحولات الاجتماعية يجب أن يعد لفاعلية المؤول،وبعبارة أخرى، التفكيرفي توجه التقدم التكنولوجي كما لاكتساب الخريجين موقفا نقديا تجاه ممارستهم المهنية" لكن الوضعية لم تبق اليوم كذلك، إذ قلبت المؤسسة الجامعية المعاصرة هذا الهدف، فهي تدعونا ليس للتساؤل إلى أين يجب أن تسير دراسة المعرفة العامة ، وأية حصة يجب أن يحتفظ بها للتكوين الخاص، بل على العكس إلى أين يجب أن يسير التكوين المهني وما هي الحصة التي يجب أن يحتفظ بها للتكوين العام، فقد حاز التكوين المهني بالفعل موقعا مهيمنا داخل الجامعة المعاصرة ينبئ عنه النمو المتسارع للمسالك المهنية. ومن ثم، فإن وضعية "أزمة الإنسانيات" ترمز إلى الصعوبة التي أصبحت تعيشها الجامعة المعاصرة في الاستمرار في التفكير بذاتها بوصفها مؤسسة، مؤسسة بدور اجتماعي وثقافي.

تغيرالإبدال: الجامعة المعاصرة في خدمة القوة الصناعية والتكنولوجية

تمويل دولتي موجه نحو حاجات التنمية

إن التغير العميق المنجز هنا هو انخراط الجامعة في محيطها الاجتماعي والاقتصادي، ووحدة المعرفة التي عدت بمثابة انعكاس لكلية الثقافة لم تعد هي هدف الجامعة. منذ 1917 كان ماكس فيبر يفسر أنه بسبب واقع أن "العلم قد دخل في سياق تخصص spécialisation لم يكن معروفا حتى اليوم"،لذلك فمن وجهة نظر داخلية وكذلك خارجية ، فإن "الدستور الجامعي القديم أصبح تخييلا، فلم يعد الفرد يعتقد أن بإمكانه تحقيق شيء مكتمل حقيقة وعمقا في المجال العلمي إلا في إطار التخصص الصارم. وهي الحقيقة نفسها التي يقدمها هابرماس، بعد ذلك، حين يرى أن موضوعة الوحدة النسقية للمعرفة لا يمكنها أن تكون في مركز التفكير المعاصر. وتعود هذه الوضعية إلى واقع أنه لم يعد ممكنا فصل المعرفة عن التقنية في المجتمعات الحديثة. وبذلك أصبح البحث مربوطا بالتطبيق التقني والاستغلال الاقتصادي من جهة، ومن جهة أخرى أصبح العلم مربوطا بالإنتاج والتدبير.

هذه الوضعية هي التي ستمكن من تحقق ما يسميه إدغار موران المركب: علم . تكنولوجيا . اقتصاد . منفعة، وقوانينه هي السارية، حيث الهدف المحرك هو رفع الإنتاجية مهما كانت طبيعة التنظيم، مع هيمنة واضحة لما يطلق عليه الإيديولوجيا التدبيرية l'idéologie managériale التي هي"تصور عام للكون الاجتماعي، ذو أهداف اقتصادية حصريا، مرتكزة على المنفعة القصوى على المدى القصير، وحيث المناهج الإدارية مستنسخة عن مناهج المقاولات الكبرى، ومطبقة على الطريقة القسرية لما يسمى القوة الناعمة soft power(...) بضوابط تنظيمية بحكم الواقع غير مناقشة إن لم يكن غير قابلة للنقاش."

ومن ثم، فإن الضغوط المتعاظمة لأوساط المال والأعمال من أجل رفع القيود عن الاقتصاد ،وباسم المنافسة الحرة ، دفعت إلى فتح مجالات أساسية ، من التعليم إلى الصحة وحتى الدفاع للمنافسة والتجارة. ورفع القيود الاقتصادي هذا ترافق مع رفع للقيود في كل مجالات الحياة الاجتماعية ، من المؤسسات إلى الأعراف، مع معارضة للمقاييس الأخلاقية والجمالية حيث التيار حر ومتحرر courant libéral et libertaire

أوليات الإيديولوجيا التدبيرية:

إن هذه الإيديولوجيا تسعى إلى توحيد uniformiser كل الأنظمة من خلال الإخضاع العام للإنجاز، وللمنافسة، وللمردودية والحكم على أي شيء وتقييمه وفق هذه الثلاثية تحديدا. فالمال لا رائحة له، ومعياره الوحيد هو الإنتاجية. من هنا هذه الأوليات:

أ/ التنافس الاقتصادي هو محرك الحياة الاجتماعية، وبتوسيع أكثر التنافس بين الأفراد يحدد المؤسسات كما سبق أن حدد تطور النوع.

ب/ الحياة الاجتماعية شأن إداري، حيث إدارة الاقتصاد هي النموذج.

ج/ كل مسألة إنسانية يمكن ويجب أن تحل بوصفها مشكلة تقنية تعود إلى قطاع اقتصادي.

د/الثقافة هي مسألة أسلوب حياة ومن ثم، فهي من نمط المنتوجات.

هـ/ مسألة القيم تختزل في مسألة التقييم من خلال خبراء بالدرجة الأولى.

و/ ما ليس له ثمن لا قيمة له، وهو ما يتبعه أن ما ليس قابلا لأن تكون له براءة اختراع ليس هاما.

ز/ المردودية للبعض لها منفعة للكل.

ح/ الحقيقة تقاس بالفعالية الاقتصادية، والمعارف ليست إلا وسائل تابعة وليست غايات. ومن ثم حتى الحقائق العلمية التي يمكن أن تشكل حاجزا للمصالح الاقتصادية المباشرة، سواء مست علم الأوبئة، أو الإيكولوجيا، أو الاقتصاد نفسه، يجب أن توضع موضع شك من خلال لوبيات فعالة ومن خلال صناعة الإنكار.

هذا البرنامج يجب تعميمه على كل المجالات والقطاعات وفي مقدمتها المجال التربوي عبر توسيع حثيث لمصطلح تكوين على حساب مصطلح تربية ذي المفهوم الشامل. فنحن نكون فاعلين بتلقينهم مواصفات ومؤهلات يجب أن يستبطنوها، وأن يجعلوها في موضع تفعيل وتطبيق، ولا يتعلق الأمر أبدا بتنمية حس نقدي، إذ الأمر يتعلق أساسا بتكوين منتجين/ مستهلكين.

من هنا، فإن المؤسسة التربوية، وهي هنا الجامعة، يجب أن تتحول من مؤسسة إلى تنظيم، ويجب ألا تصبح شبيهة فقط بمقاولة، بل أن تصبح هي نفسها مقاولة، ويجب أن تطبق التسيير الملائم في كل مظاهر تجربتها. ومن ثم يجوز لنا الحديث عن الجامعة وزبنائها حيث لاحديث إلا عن الجودة quality والتميز excellence لأن التميز يقتضي طفرة في الجودة:" مفهوم التميز ينمو ،كما يقول بيل ريدنغBill Readings في كتابه" الجامعة في خراب" ، داخل الجامعة حيث يصبح الفكرة المركزية للجامعة، التي تصبح بفضله قابلة لولوج العالم الخارجي الممثل بالطبقات الوسطى والعليا". وعليه، فإن تميز التكوين المقترح هو المعيار الأكبر المستعمل في مسطرة التقييم حيث السيادة لمنطق التكميم Quantification، والمنطق المحاسباتي.

ومن ثم، فإن تحول الجامعة إلى تنظيم مقاولاتي يجعلها على عكس المؤسسة ، ذات غايات برغماتية وتأخذ مشروعيتها من أفكار المنفعة والفعالية والإنجازية الإجرائية، عبر مسار محدد يقوم على التخطيط والتنفيذ والتقييم لكن مع ملاحظة أن كل تخطيط يملك نقطة انطلاقه في التقييم.

الإنسانيات اليوم:

في ظل هذه الوضعية المحكومة بالإيديولوجيا التدبيرية تصبح الإنسانيات في وضع حرج لعدم استجابتها لمتطلبات المهننة والتكميم والمردودية، وعدم تقديمها ما يثبت انخراطها في منظومة " الأثر impact".

في هذا الصدد ترى الباحثة الأمريكية مارتا نوسباوم في كتابها الهام:

" For not profit, Why democracy needs the Humanities ? " أن التوجهات الليبرالية الجديدة التي تحكم العالم اليوم تهدف إلى أن تجعل ثانويا تعليم ما سيكون "غير نافع" للاقتصاد مثل اللغات والفلسفة والأدب والفنون. ولأنها تعد كمالية مكلفة، فإن هذه المجالات قد حكم عليها بالضمور والإخضاع لإكراهات مالية في كل مكان بالعالم، حتى في الجامعات الأمريكية التي كانت أصالتها في أنها توفر درسا إجباريا في "الفنون الحرة" السنتين الأوليين قبل أي تخصص. ومن ثم أصبحت كل سياسة تربوية وكل استثمار في هذا الميدان يقيمان بأثرهما الاقتصادي، بطريقة إعداد أفراد مؤهلين، حركيين،وقابلين للتكيف مع متطلبات سوق عمل متحرر.و لأن الإنسانيات غير قابلة للإدخال في هذا القالب، فهي محكوم عليها بالانقراض مثل كل ما لايقبل التكيف مع التحولات، وكل ما ليس ذا مردودية لأنه على المدى القريب لا يفضي إلى أية مهنة محددة ومباشرة. وحتى على مستوى البحث ، فإن مفهوم العلم نفسه اختزل في هذا التصور في القناعة أن"العلم هو ما يقود إلى اكتشافات واختراعات وتطبيقات تطور مباشرة حياة الناس، لكن نقطة نفعية الإنسانيات لا يمكن الإمساك بها مباشرة. نظام طلب مشاريع يعكس وضعية الأزمة هذه، فهو إذا كان ملائما للعلوم والتقنيات، فإنه لا يناسب الإنسانيات، وينحو باتجاه إفساد مهمة البحث في هذا المجال، ويستتبع ذلك أيضا مقاييس التقييم المعتمدة لتمويل البحث، ومن أهمها مقياس الأثر المرتبط مباشرة بمقياس المنفعة.

ولأن المقدمة هنا هي أن البحث يجب أن يبلغ منافع قابلة للبرهنة عليها في المجتمع وفي الاقتصاد بالمعنى الواسع، فإن مقياس الأثر يأخذ 25% من مقاييس التقييم لتمويل البحث. ومن ثم أمام استعمال مقاييس موحدة لكل التخصصات (ضمن التصور الموحد للعلم)، فإن ذلك حمل حتما أثرا سلبيا على الإنسانيات التي تقدم في العديد من الحالات إطارا مختلفا وإيقاعا متباينا. لا نستغرب إذن إذا وجدنا البعض الذي أصبح يسائل حتى نسبة كلمة بحث إلى ما ينجز في الإنسانيات.

تستخلص نوسباوم أن هذا التوجه إذا امتد، فإن دول العالم كله سوف تنجح مستقبلا في إنتاج أجيال من الآلات الفعالة ، لكنها سوف تفشل حتما في إعطاء مواطنين مكتملين قادرين على التفكير بأنفسهم ونقد التقليد وفهم ما تعنيه معاناة ونجاحات الآخرين.

إن تربية موجهة فقط نحو المنفعة تدمر ببطء لكن بكل تأكيد الشروط التي تسمح للمجتمعات الديمقراطية بالعمل . إن ديمقراطية حية تطلب من مواطنيها مشاركة ومعرفة واستقلالية. وإن الحكومات حينما تجعل الإنسانيات موضوع بتر صارم من الابتدائي إلى الجامعة، فإنها تحرم نفسها من موارد ضرورية لاستمرار الديقراطيات،فلن نستطيع الحصول على نظام دمقراطي إذا كان الجمهور غير مستعد فكريا لأن يستوعب بطريقة نقدية الأشياء التي تقع كل يوم . وعليه، ففي عالم من المنافسة الاقتصادية المعولمة ، تتوفر الإنسانيات على أهمية أخلاقية وسياسية واجتماعية.

أهمية الإنسانيات في العالم المعاصر:

في ظل اتجاه متعاظم لجعل التربية خالية من أي بعد إنساني ، وقيام اتصال وثيق بين شكل معين من العولمة ومهننة على المدى القصير يتم تدمير التعليم الإنساني الذي كان يهدف أساسا إلى تكوين رجال أحرار يعرفون كيف يتكلمون ويستدلون، مواطنين قادرين على تحمل دورهم في المجتمع.

إن اتصال التطورات الحضرية،والتقنية،والبيروقراطية ، والصناعية، والرأسمالية، والفردانية، يفترس من الداخل الحضارة التي أنتجها هذا الاتصال ونماها. هكذا، كما يرى إدغار موران، إذا كانت التقنية هي ما يسمح للبشر بإخضاع الطاقات الطبيعية،فهي نفسها التي تسمح بإخضاع البشر للمنطق الحتمي، الميكانيكي، التخصصي، المحسوب بزمنية الآلة الاصطناعية.ومن ثم،فإن سباق النمو في الإطار الموسع للاقتصاد المعولم ينحو إلى التضحية بكل ما لا يستجيب لمنطق المنافسة. وفي مقدمة ذلك الإنسانيات.

لكن الإنسانيات هي، بالضبط، ما يمكننا من التفكير في كل هذا ويخلصنا من "نسيان الكينونة" بعبارة مارتن هايدغر. إن الإنسانيات هي ما يمكن من جعل المعرفة تفكر في نفسها.إن الإنسانيات كما تقول جامعة ستانفورد هي التي تعلمنا" التفكير الإبداعي والنقدي، كما الاستدلال، إضافة إلى أنها تشجعنا على التساؤل".ولذلك ، يشير مجموعة من العلماء في المحاضرة الدولية عن العلم إلى أن الاكتشافات العلمية يجب هي أيضا أن تطبق في المستوى الذي يناسب. وتأثير التدخلات التكنولوجية على الأفراد والجماعات والبيئة يجب أن تكون موضوع فحص بشكل مستمر وقريب. ولهذه الغاية يجب على العلم أن يصبح أكثر تركيبية في تخصصاته، وأن يستمر ممارسوه في إنماء التعاون والاندماج بين العلوم الاجتماعية والطبيعية.إن مقاربة شمولية holistique تتطلب أيضا من العلم أن يقبل مساهمات الإنسانيات (مثل

التاريخ والفلسفة والآداب واللغات)، وأنظمة المعرفة المحلية، والحكمة الأهلية والتنوع الكبير للقيم الثقافية.

من هنا، فإن الإنسانيات هي التي تبرز أن للمعرفة سياقا ، ومن هذا السياق السياق السياسي والاجتماعي، والسياق الإنساني بكل أهوائه وتخوفاته ورغباته. كما أنها تشير إلى أن جزءا أساسيا من ملاءمة المعرفة أن تكشف مختلف أوجه الحقيقة نفسها بدل أن تثبت نفسها في وجه واحد. والتعليم يجب أن ينمي معرفة تحليلية وتركيبية في الآن نفسه تجمع الأجزاء إلى الكل وتجمع الكل إلى الأجزاء. يجب أن يدرس المناهج التي تسمح باستيعاب العلاقات الثنائية والتأثيرات المتبادلة والأعمال البينية الخلفية. ومعرفة المعرفة تتطلب منا أن نمارس بشكل دائم التفكر، أي الفحص الذاتي الذي يضم بالتأكيد نقدا ذاتيا، بطريقة التفكير في الفكر، وهو ما يستدعي كذلك التفكر في الذات، في الشروط التاريخية والثقافية والاجتماعية للوجود الخاص.

البطالة آفة يجب التصدي لها بشكل دائم لأنها تفكك الجسم الاجتماعي، لكن الحلول التبسيطية والاختزالية ليست بالضرورة الأفضل. لقد أثبتت التجارب أن شابا لم يتلق إلا تكوينا تخصصيا بشكل ضيق سيجد مع ذلك صعوبة في الحصول على عمل، وبالخصوص في الحفاظ عليه،من شاب في السن نفسه له عقل مكون جيدا، وربما دون تأهيل محدد مباشر، ولكن مع قدرة أكبر على التكيف واكتساب المزيد من الخبرات التي تسمح له بها معارفه المتنوعة. في استطلاع قامت به "جمعية المعاهد والجامعات الأمريكية Association of American Colleges and Universities" لدى مديري مقاولات قطاع خاص وهيئات ذات أهداف ربحية، برهن أن أهم الخصال التي يقدرونها لدى مستخدميهم ويبحثون عنها لدى الأشخاص الذين يريدون استقطابهم هي خصال التواصل الجيد والثقافة الواسعة وحسن الاستدلال والتحليل والإيصال الموفق للمعارف والإبداعية والأفكار. وقد تبين حقيقة أن القراءة ، من خلال دراسات علمية، تجعل الناس أكثر ممارسة للتقمص التعاطفي empathie.

ولأن الإنسانيات تساهم بفعالية في تعلم التفكير بطريقة إبداعية ونقدية، وتساعد على إعطاء معنى لحيواتنا ولعالمنا، سواء كانت الأوقات سعيدة أم تعيسة، وتسمح بولوج عوالم الثقافات، وتربطنا بأفكار وموضوعات من خلال التخصصات الأكاديمية، فهي بالتأكيد تنفعنا. فإذا كنا نقيس منفعتها بمعايير الفعالية الاقتصادية أو القابلية للتطبيق المباشر، فإن الجواب سيكون لا، لكن إذا اعتبرنا منفعتها بمعايير القيم والمعارف والمعلومات التي تمنحنا إياها وكيف تساعدنا على التفكير والنقد ، فإن الجواب هو نعم إنها تنفع . ولعل الخطر يأتي من أن ترى الديمقراطية مهشة بشكل سريع مع أفراد يخضعون لضغط نظرائهم أو للسلطة وينتهون إلى ممارسة أفعال مأساوية. الأشخاص المكلفون بتكوين رجال الأعمال المقبلين يفسرون أن كوارث مثل إفلاس شركة Enron الأمريكية في دجنبر 2001 هو نتاج حالة التبعية

وضغط النظراء والسلطة. ومن هنا تأتي أهمية تفضيل عقل نقدي منفتح على الحوار والنقاش. إن فهما جيدا لذواتنا أساسي وضروري لتفادي التعامل المقصي للآخرين.

وحسب نوسباوم، إذا كانت القيم الديمقراطية تحتل مكانا متميزا في قلوبنا، فإنه يجب أن نكون ليس فقط تقنيين جيدين، بل كذلك رجالا ونساء متوفرين على قدرات نقدية وفصيحة ضرورية لملء أدوارنا بوصفنا مواطنين قادرين كذلك على فهم أوضاع ومشكلات مؤولة في إطار أخلاقي وثقافي. على أن هذه القدرات الضرورية للعقل النقدي ،والانفتاح الفصيح، وفهم تعددية الثقافات لا تنمى جوهريا إلا من خلال الآداب والإنسانيات، أو بالأحرى من خلال ممارسة معينة ومثمنة للآداب والإنسانيات.

الإنسانيات في التكوين العلمي والتقني:

رغم الأزمة التي أصبحت تعانيها الإنسانيات على أصعدة متعددة نتيجة ما أسلفنا الحديث عنه، فإن مجموعة من الوقائع تثبت أهميتها الحيوية خاصة في تكوين المهندسين والأطباء. ففي مجال الهندسة مثلا نجد العديد من الباحثين يؤكدون ضرورة توفر التكوين الهندسي على حيز للإنسانيات. في هذا الصدد، يشير أليسون بيرلي Alison Byerly رئيس معهد لافاييت للهندسة بالولايات المتحدة الذي يقدم تكوينا في الفنون الحرة والهندسة معا إلى أن "طلاب اليوم في حاجة إلى تنمية القدرة على البحث والاستقصاء المفتوح التي تثقفها الفنون الحرة والإنسانيات، وكذلك إلى كفايات حل المشكلات المرتبطة بالعلم والتكنولوجيا . إن مقررا ذا جودة لا يتخلص من مسؤوليته في تقديم الاثنين.

إن الإنسانيات تبقى ذات أهمية حيوية لإعداد الخريجين القادرين على عيش حياة دالة ومفكر فيها، والنبوغ في مسارات متعددة، وأن يكونوا ذوي ثقافة واسعة،ومواطنين منخرطين في الديمقراطية وفي عالم في تطور سريع. لذلك يرى أساتذة في الهندسة من جامعة ولاية الجنوب للبوليتكنيك إلى أن الإنسانيات تمكن الطلبة المهندسين من صقل كفايات التواصل الشفهي والكتابي وكذلك الكفايات البين شخصية، وهي كذلك تعدهم لتلبية متطلبات الحياة الثقافية والمدنية، وأن يصبحوا متعودين على الأفكار الإبداعية الآتية من العقول الكبرى خارج مجال تخصصهم واستعمالها، والتي تستطيع أن تساعدهم على توليد أفكار جديدة وتوسيع آفاقهم. وقد تبين أن الطالب قابل أكثر للمتابعة في الهندسة أو التخصص العلمي كلما امتلك تواصلا قويا وكفايات بين شخصية.

ويرى جاك ليفي في ندوة المدارس الكبرى أنه في مواجهة عالم يتغير، فإن التكوين العلمي والتقني يظهر غير كاف، ومساهمة الإنسانيات أساسية للسماح للمهندسين المقبلين أن يواجهوا التحديات الجديدة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي. إنها حسبه . تساعد على تفتح العقل وتشجع على ثقافة وشخصيتين متوازنتين، وتنمي حسا نقديا، وقدرة على المراجعة وعلى ضبط التعقيد وتفكيرا أخلاقيا خاصا بإضاءة

الفعل، كما أنها تسمح باكتساب المعارف والمهارات العلائقية التي تعد المهندس للتفاعل بطريقة منفتحة وفعالة معا مع فاعلين آخرين في المقاولة والمجتمع.

أما في المجال الطبي، فإنه يمكن الحديث اليوم عن قيام إنسانيات طبية. فبفضل الإنسانيات، يستطيع المتعلمون في المجال الطبي أن يفكروا في انعكاسات علاقاتهم الشخصية والمهنية مع المرضى ومع عائلاتهم، لأن الإنسانيات تدعم مقاربة علاج شمولية متمحورة على الشخص، وهي كذلك تمنح المتعلمين "مصاف" filtres جديدة لتفاعلاتهم مع الأعضاء الآخرين في فريق العلاجات العيادية بغية الفهم الجيد لدورهم الخاص ولأدوار الآخرين. وبإقامتها لعلاقات، تشجع الإنسانيات المتعلمين على الفهم الجيد والتفاعل مع المرضى وعائلاتهم ككائنات فريدة ومكتملة . إن الإنسانيات تسهم،في هذا الإطار، في تنمية التفكير النقدي، و الحكم المتبصر على الفرضيات، كما أنها تبين كيفية التعامل مع اللا يقين والمجهول، والتسامح مع الالتباس. ولذلك، فإن استعمال الإنسانيات يمكن أن يساعد على موازنة السلطة بين مختلف تخصصات الصحة ومهنها، ويساهم في المصالحة بين مختلف رؤيات العالم حسب قيم متقاسمة .

خاتمة:

حينما بدأنا نتوقف عن أن نكون أشخاصا يفكرون في ذواتهم وفي الآخرين بمنطق تعاطفي، وبدأنا نفكر بأننا مستهلكون فقط كنا نتخلى عن آلاف السنين من التنمية البشرية.إن التكنولوجيا والثقافة مرتبطتان بشكل غير قابل للفصل. والتكنولوجيا بجعلها عيش البشر أكثر سهولة، فإن ذلك يجب أن يسمح بتكريس أكثر ما يمكن من الوقت لحياة العقل والروح لا وأدها. ولاشك، أن تدريس الإنسانيات اليوم هو، حسب نوسباوم، فعل نضالي في حد ذاته ، يساهم في بناء تجربة من الغيرية والحرية والعدالة للجميع. وإذا لم يكن هناك احتجاج عميق على التوجه اللبرالي/التجاري لكل القيم في البرامج، فإنه ليست الإنسانيات فحسب هي التي ستنقرض،بل الديمقراطية نفسها ستذوي ويصبح الأفراد غير قادرين لا على جعلها تحيا ولا على الدفاع عنها.وعلى حد تعبير نورثروب فراي" إن أضمن طريق لتدمير الحرية هوتدمير القدرة على التعبير بحرية".